التحولات الاستراتيجية في الشرق الاوسط

هشام عبدالله

اعطت الخطوات السياسية التي تلت العمليات الحربية في تشرين الاول ١٩٧٣ ، الانطباع الخاطىء بان هناك تبدلا في سياسة الدول الكبرى ، خاصة الولايات المتحدة ، تجاه دول المنطقة . وان هناك تراجعا من جانب دول المنطقة فيما يتعلق بآمال الدول العربية ، واطماع اسرائيل . الا ان هذا الانطباع الذي عززته بعض الظروف السياسية والحملات الاعلامية ، لا يرتكز على اسس منطقية . فما اعتبر تبدلا في سياسات الدول صاحبة العلاقة في منطقة الشرق الاوسط ، ليس في الحقيقة الا اعادة تقييم لطرق العمل التي اتبعتها هذه الدول . وليست التنازلات او التراجعات سوى تكتيك مرحلي ريثما تتم بلورة سياسة اصح ، وايجاد ظروف انسب . ولا يمكن اعتباره تخليا عن الاهداف الاستراتيجية الاساسية .

ان الخطوط العامة للاستراتيجيات في منطقة الشرق الاوسط ما زالت كما هي . فالكيان الاسرائيلي ما زال قائما يوطد اركانه ويسعى لاستجلاب مزيد من المهاجرين . وما زالت الولايات المتحدة عصب حياة اسرائيل السياسية والاقتصادية والعسكرية . ولا تستطيع الدول العربية من جهة اخرى التخلي عن حقوقها المشروعة في اراضيها ، ولا تسمح شروط اللعبة السياسية الدولية للاتحاد السوفياتي بترك الولايات المتحدة تنفرد بالمنطقة .

وتنبع صعوبة تبديل خطوط هذه الاستراتيجيات من عدة عوامل . فسياسة التوازن، التي اكتشفتها بريطانيا في اوائل عصر النهضة ، ما زالت تفرض نفسها بقوة في المنطقة. وهذه السياسة ، التي اصبح لها اليوم مواصفات تختلف كثيرا عن تلك التي ابتدعها البريطانيون قبل عدة قرون ، تخيم عليها ظلال « الوفاق الدولي » . وهي لم تعد مجرد توازن في القوى بين دولتين متجاورتين او متنافستين . بل هي نتاج لمعادلة معقدة تدخل فيها مصالح الدول الصغرى وحقوقها وامالها . ومصالح الدول الكبرى واطماعها ومراميها . وبعد ان فرض « الرعب النووي » توازنا محكما يصعب على الدول الكبرى تجاوزه ، اصبحت لعبة التوازن ضمام امان ومتنفس يحافظ على الوفاق الدولي بابقاء الصراعات محصورة بالصغار دون ان يكتوي بنارها الكبار. كما ان هذه الاستراتيجيات قد فرضتها احداث ضخمة ومصالح كبيرة ، شديدة التباين . وهي استراتيجيات ديناميكية وضعت كل واحدة للرد على الاستراتيجية الاخرى المناهضة . ويفتقر واضعوها الى الثقة في اهداف الاطراف الاخرى المعلنة او غير المعلنة . وفي الاعتقاد بحسن نواياها .